مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023) ص 761-770

فوضى ترجمة المصطلح النّقدي بين المشارقة والمغاربة، مصطلحات التّناص أنموذجا

The chaos of translating the critical term between the East and the Moroccans, the terminology of intersexuality as a model

محمد مداور*

جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة (الجزائر)

midaouar.med@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال: 2022/12/30
تاريخ القبول: 2023/05/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المصطلح النقدي
- ✓ التناص
- ✓ المشارقة
- ✓ المغاربة

الملخص:

يحاول هذا البحث الكشف عن الفوضى التي تطبع ترجمة مصطلحات النقد الأدبي من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، وذلك من خلال المقارنة بين المترجمين المشارقة والمغاربة؛ متّخذين من مصطلحات التّناص أنموذجا للدراسة؛ باعتباره من أكثر المصطلحات شيوعا في الخطاب النقدي العربي.

وسنركز اهتمامنا على ترجمتين لكتابين جعلناهما كمدونة أساسية للبحث، وهما: كتاب "مدخل إلى التّناص" لـ نتالي بييقي . غروس الذي ترجمه الباحث الجزائري "عبد الحميد بورايو"، وأما الثاني فهو كتاب "نظرية التّناص" لـ "جراهام ألان" الذي ترجمه الباحث السوري "باسل المسالمة".

Article info

Received 30/12/2022
Accepted 11/05/2023

Keywords:
- ✓ *critical term*
- ✓ *intersexuality*
- ✓ *Orientals*
- ✓ *Maghrebans*

Abstract :

This research attempts to discover the chaos thatcharacterizes the translation of literary criticism terms from a foreign language into Arabic, through a comparison between Moroccan translators and the Orientals ; Taking the terminology of intertextuality theory as a model for study because it is one of the most common terms in Arabic critical discourse.

We will focus our attention on two translations of two books, namely: "Introduction to Intertextuality" which was translated by the Algerian researcher, "Abdel-Hamid Borayo", and the second is the book "The Theory of Intertextuality", which was translated by the Syrian"Basil Al-Masalmah.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تشهد الساحة النقدية العربية اضطرابا وتعدّدا مصطلحيا يصل حدّ الفوضى الناتجة عن الاختلاف في ترجمة المصطلح أو تعريبه، وهو اضطراب يشكّل عائقا في سبيل تلقي النظريات النقدية الغربية، ولاشك أنّ هذه الفوضى المصطلحية ستقوّض أي محاولة لوضع نظرية نقدية عربية، ولو تأملنا على سبيل المثال المصطلحات الخاصة بمفهوم التناص لوجدنا اختلافا كبيرا في ترجمتها. وفي هذا البحث سنحاول الإجابة عن الإشكاليات الأساسية للبحث: كيف ترجمَ الباحثون العرب المشارقة والمغاربة مصطلحات التّناص؟ وما مدى التطابق والاختلاف بينهما؟ وما هي أسباب الاختلاف الذي يصل حدّ الفوضى الاصطلاحية بين المترجمين؟ وما مدى تأثير ذلك على متلقّي الخطاب النقدي المضطرب في مصطلحاته؟ وهل هناك سبيل لتوحيد المصطلحات النّقدية؟

وقد ارتأينا في البدء أن نقدّم مدخلا منهجيا نحدّد فيه المفهومين المفتاحيين المتعلقين بالبحث؛ وهما "المصطلح النقدي" و"التّناص."

2.مدخل منهجي:

1.2 مفهوم المصطلح النقدي:

لكلّ علم أو حقل معرفي موضوعه ومصطلحاته التي تميّزه عن غيره. وقد اهتم العلماء العرب قديما بالمصطلح وتحديد مفهومه؛ شأن الشريف الجرجاني في كتاب "التعريفات"، والتهانوي في "كشاف اصطلاحات الفنون"، والمصطلح لفظ مشتق من الاصطلاح، وهو "اتفاق طائفة على وضع لفظ بإزاء المعنى."[1]وهي طائفة متخصّصة في حقل معرفي معيّن، فالمصطلح لفظ يتواضع عليه مختصون ليدلّ على معنى خاص ومحدّد، يتجاوز في كثير من الأحيان دلالته اللفظية والمعجمية المعروف بها ليحمل تصورات فكرية، إنّه لفظ مخصوص موضوع يؤدي معنى معيّنا بوضوح ودقة، حتى لا يقع المتلقي لهذا المصطلح في لبس أو غموض.

لا يخرج مفهوم المصطلح النقدي عن التوصيف الذي قدّمناه للمصطلح العام، غير أنّ المصطلح النقدي يرتبط بحقل معرفي خاص هو النقد الأدبي، وبذلك يمكن تحديده على أنّه علامة لغوية أو"رمز لغوي مفرد أو مركب أحادي الدّلالة، منزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى يعبّر عن مفهوم نقدي محدّد واضح، متفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي، أو يرجى منه ذلك،"[2]فالمصطلح النقدي عبارة عن علامة لغوية تتضمن شكلا هو اللفظ ودلالة محددة هي المفهوم. وكلّما كان اللفظ مضبوطا ومتفقا عليه كان المفهوم محدّدا وواضحا لدى المشتغلين على حقل النقد الأدبي.

إنّ وضع المصطلح النقدي هو اجتهاد جماعي وليس فرديا، وكلّما كان هذا الاجتهاد متّفقا عليه من قبل أكبر عدد من المشتغلين على حقل النقد الأدبي، كلّما كانت المعرفة النقدية دقيقة، بحيث لا يجد متلقوها إشكالا، إذ يقلّ التعدد المصطلحي، وتتضح المفاهيم المتعلقة بها. ولكن ما يحدث في الساحة النقدية العربية هو العكس، حيث إنّ المناهج والنظريات والمقاربات المعتمدة في مقاربة الخطابات والنصوص الأدبية مستعارة من الثقافة الغربية، ولذلك نشأت أزمة المصطلح لعدم وجود اتفاق بين المترجمين والنقاد على مصطلحات كل حقل نقدي بهدف توحيدها، وهنا تتعدّد المصطلحات ومفاهيمها ومعانيها وتضطرب استعمالاتها.

2.2 مفهوم التناص:

يعدّ مصطلح التّناص (Intertextualité) من أكثر المصطلحات النقدية شيوعا في الخطاب النقدي المعاصر. ويرجع ابتداعه إلى الباحثة الفرنسية ذات الأصول البلغارية جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) في أواخر ستينيات القرن الماضي، وهو يشر إلى العلاقة المتداخلة والتفاعلية بين النصوص. فالنص بالنسبة لها هو "تحويل للنصوص (permutation) أي أنّه تناصّ. ففي فضاء نصّ ما تتقاطع جملة من الملفوظات المستمدة من نصوص أخرى وترغم على الحياد."[3] ومن هنا يمكن تعريف التّناص في

أبسط صوره بأنّه حضور نصّ أو عدة نصوص سابقة أو متزامنة في بنية نص حاضر، والقارئ هو الذي يمسك بهذه النصوص المندسّة في النص، كلّ بحسب ثقافته، ثم يعمدُ إلى تأويلها، وهنا تتعدّد تأويلات المتناص، لذلك كان التّناص حسب كريستيفا دينامية نصية، حيث تصبح القراءة إنتاجية، وليست مجرد فعل استهلاكي.

توسّعت الدراسات الغربية المتعلّقة بالتّناص، وظهرت مصطلحات عديدة تفرعت عنه، وذلك مع جهود رولان بارت(Roland Barthes) وجاك دريدا (Jacques Derrida) ومارك أنجينو (Marc Angenot) وميشال أريفي (Michel Arrivé) ولوران جيني (Laurent Jenny)، إلى أن وصلت هذه الجهود مرحلة النضج في الثمانينات مع إسهامات ميكائيل ريفاتير (Michael Riffaterre) وأنطوان كومبانون (Antoine Compagnon)، وجيرار جنيت (Gérard Genette). هذا الأخير اكتمل على يده البحث في مفهوم التّناص. وأصبح التّناص – حسب بعض النقاد- نظرية متكاملة لها جهازها الاصطلاحي، وآلياتها الإجرائية الخاصة بها. وقد وضع جنيت آليات إجرائية تطبيقية لتحليل النصوص، تقوم على تقصّي العلاقة بين البنى النصية للكشف عن دلالتها ووظائفها ضمن إطار أوسع وأفق أرحب هو حقل الشعرية (poétique). ولكنّه بالمقابل وسّع مفهوم التّناص ليحلّ محلّه مصطلح « La transtextualité » وهو ما ترجمه بعضهم بـ التعالي النصي (وهو ما ارتضيناه في بحثنا هذا).

يشير جنيت في هذا الصدد إلى أنّ التّناص –كما حدّدته كريستيفا- أصبح مجرّد نوع واحد من أنواع التعالي النصي، إنّ التّعالي النصي مفهوم شامل يتسع لمختلف العلاقات التي تنسجها النصوص الحاضرة مع النصوص الغائبة. ولكن رغم التطوير الذي عرفه التّناص في الدراسات الغربية، إلّا أنّ مصطلح التّناص (Intertextualité)ظلّ مستعملا لدى كثير من النقاد في الغرب وعند العرب؛ ليعني عند النقاد والقراء ظاهرة التداخل بين النّصوص على اختلاف آلياتها.

بالرغم من الاتّفاق الضّمني الذي يبدو أنّه حصل لدى متلقي الخطاب النقدي حول الدلالة العامة لمصطلح التّناص(Intertextualité)، إلا أنّ المتأمّل لهذا الخطاب - الذي أنتجه الغربيون أو العرب من بعدهم- يلاحظ الإشكال المصطلحي المتعلّق بمجموع المصطلحات المرتبطة بالتّناص أو تلك المتفرعة عنه، إذ لم يتفق الشعريون/ الإنشائيون (poéticiens) العرب وحتى الفرنسيين؛ لكن إذا كان الاختلاف بين الفرنسيين في الدلالة التي يعطيها كلّ منهم لمصطلح بعينه، فالمسألة لدى الدارسين العرب مضاعفة الإشكال، إشكال الدلالة المعود إليها وإشكال الترجمة أو التعريب."[4]وفي الفقرات التالية من هذا البحث سنقدّم توصيفا موجزا للفوضى أو الأزمة التي شهدها الخطاب النقدي العربي المعاصر عند ترجمته أو نقله لمصطلحات التّناص خصوصا تلك التي وضعها جيرار جنيت.

3.أزمة ترجمة مصطلحات التّناص بين المشارقة والمغاربة؛ قراءة توصيفية:

يلاحظ المتأمل للخطاب النقدي العربي (في المشرق والمغرب) اختلافا واضحا في ترجمة المصطلحات النقدية المتعلّقة بالتناص، اختلاف نجم عنه تعدّد مصطلحي يصل حدّ الاضطراب الذي سيشكل لا محالة أزمة لدى النقاد والباحثين المشتغلين على هذا الحقل المعرفي (التّناص). وسنحاول هنا عرض جزء من هذه المشكلة/ الأزمة انطلاقا من المصطلحات الأساسية المرتبطة بالتناص (Intertextualité).

إنّ لفظ التّناص هو المصطلح الذي شاع في الخطاب النقدي العربي المعاصر كمقابل للمصطلح الفرنسي Intertextualité، سواء في الدراسات التنظيرية أو التطبيقية. وتبدو هذه الترجمة منطقية لأن بنيته (التّناص) الاشتقاقية وصيغته الصرفية تعبّر عن البعدين الأساسيين اللذين يتوافر عليهما المصطلح الأجنبي؛ وهما التّشارك والنّص، ولذلك لقي انتشارا واسعا لتعبيريته واكتنازه الدلالي.[5]وقد استعمل هذا المصطلح (التّناص) لدى كثير من المترجمين والنقاد العرب أمثال: محمد خير البقاعي، صبري حافظ، وصلاح فضل، وعبد الله إبراهيم، وصابر عبيد، ومصطفى السّعدني، ومحمد عبد المطلب، وباسل المسالمة؛ وهؤلاء من

المشرق العربي. وممّن استعمل هذا المصطلح في المغرب العربي نذكر: سعيد يقطين، وعبد المالك مرتاض، محمد مفتاح، أحمد السماوي، وفوزي الزمرلي، ونور الدين السد، وعبد الحميد بورايو.

ولكن رغم شيوع استعمال هذا المصطلح (التّناص) لدى كثير من النقاد والمترجمين؛ إلا أنّنا نجد نقادا آخرين قد استعملوا مصطلحات أخرى وفتحوا باب التعدد المصطلحي على مصراعيه، فكثرت الترجمات المتعلّقة بالمصطلحات الأجنبية ذاتها، وسنذكر نماذج من هذا التعدّد على سبيل التمثيل لا الحصر، لنقف على الأزمة إن لم نقل الفوضى التي شهدها مصطلح واحد في الخطاب النقدي العربي، فما بالك بالمصطلحات المرتبطة بنظريات ومناهج نقدية أخرى؟

من مظاهر التعدد المصطلحي الخاص بالتناص ما نجده عند الناقد المغربي "محمد بنيس" الذي اجتهد في وضع مقابلات مختلفة لمصطلح Intertextualité وهي: التداخل النصي، النص الغائب، هجرة النصوص، بينما استعمل يوسف وغليسي مصطلحي: تناسخ النصوص والتناسخ النصي للدلالة على نفس المصطلح، وكذلك استعمل عبد الله الغذامي للدلالة على المصطلح ذاته مصطلحي: تداخل النصوص والنص المتداخل. في حين استعمل أحمد الزغبي مصطلح النص الغائب وترجم كل من معجب العدواني ومحمد خير البقاعي مصطلح Intertextualité إلى التّناصية.

ونشير هنا إلى الاجتهاد الذي قام به الباحث المغربي "سعيد يقطين" والذي اشتغل كثيرا على أعمال جيرار جنيت، وحاول تطوير تصوراته وفق رؤيته، خاصة تلك المتعلّقة بالسرديات، وسيلاحظ المتأمّل لكتابيه: "الرواية والتراث السردي" و"انفتاح النّص الروائي" أنّ يقطين تصرّف في حقول عدد من المصطلحات التي استعارها من كتابي جنيت الموسومين بـ "طروس*Palimpsestes*" و"عتباتSeuils"، حيث عمد إلى تقليص مجال بعض تلك المصطلحات نفسها وتحويل مجالات بعضها الآخر أو تفريعها، فنجده يترجم بعضها ويضع مقابلا لبعضها الآخر."[6] ولا شك أن هذا الاجتهاد سيضع عقبات في طريق المتلقين/ القراء، لأنه يزيد من مشكلة التعدد المصطلحي. ومن أمثلة هذا التصرّف استعماله لمصطلح "التفاعل النصي" كمقابل لـ Transtextualité الذي استعمله جنيت للدلالة على مختلف العلاقات النّصية الممكنة، وهو ما ترجمه أغلب النقاد بـ التعالي النصي. ونلاحظ هنا أنّ مصطلح التفاعل يبدو مناسبا أكثر من التعالي لأنّ "التفاعل النصي" يستوعب مختلف العلاقات الممكنة بين النصوص، وقد شاع استعمال هذا المصطلح في كتابات بعض النقاد ولعلّ أبرزهم "نهلة الفيصل" في كتابها "التفاعل النصي - التّناصية النظرية والمنهج".

يتجلى لنا من خلال هذا العرض الموجزلترجمة أو نقل مصطلح التّناص (Intertextualité)إلى اللغة العربية؛ مدى الفوضى المصطلحية التي شهدها مصطلح واحد فقط، إذ لم يتفق المترجمون والنقاد العرب على استعمال مصطلح واحد، وقد لاحظنا أن المشكلة موجودة عند المشارقة والمغاربة على حدّ سواء، لكنها تتفاقم أكثر مع المترجمين والنقاد المشارقة، ولا ينحصر الاختلاف بين المغاربة والمشارقة؛ بل إنّنا نجد اختلافا في الترجمة حتى بين النقاد في البلد الواحد، والغريب أنّنا نجد اضطرابا في ترجمة أو نقل المصطلح من اللغة الأجنبية إلى العربية حتى لدى الناقد الواحد في كتبه المختلفة، إذ يطلق مصطلحا ثم يتراجع عنه ويثبتُ آخر محلّه، وكأنّنا أمام مراجعات نقدية مسّت تجديد المصطلح.

4 . دراسة مقارنة لترجمتي "عبد الحميد بورايو" و"باسل المسالمة" لأهم مصطلحات التناصّ:

سنحاول في هذا الجزء من البحث عقد مقارنة بين ترجمتين لناقدين؛ أحدهما ينتمي جغرافيا إلى المغرب العربي؛ وهو الناقد والمترجم الجزائري "عبد الحميد بورايو"، والآخر مشرقي؛ وهو الناقد والمترجم السوري "باسل المسالمة"، وقد قصرنا المقارنة على أبرز المصطلحات التي اجترحها الباحث الفرنسي "جيرار جنيت" في إطار تصوّره لمفهوم التّناص. وسنقدّم تعريفا موجزا بالمترجمين:

1.4 التعريف بالمترجمَين:

4. 1.1 عبد الحميد بورايو: ناقد ومترجم جزائري، حاصل على شهادة الماجستير من جامعة القاهرة عام 1978م، وشهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر 1996، متخصص في السرديات، درّس بكلية الآداب واللغات الشرقية بجامعة الجزائر. من أعماله المترجمة:

- مراد يلس وآخرون: السرديات التطبيقية، مقاربات سيميائية سردية، 2013.
- أ. ج. غريماس وآخرون: النظرية السيميائية، مسار التوليد الدلالي، 2013.
- ناتالي بييقي- غروس: مدخل إلى التّناص، 2012.

هذا الكتاب الأخير هو الذي استندنا إليه في دراستنا المقارنة، وفيما يلي المعلومات الكاملة المتعلقة به:

ناتالي بييقي – غروس: مدخل إلى التّناص، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار نينوى، دمشق، سوريا، ط1، 2012.

أما المعلومات الأصلية المتعلقة بهذا الكتاب فهي كالآتي:

Nathalie Piegay -Gros: Introduction a l'intertextualité, (Nathan / Sous la direction de Daniel Bergez), Dunod, Paris, 1996 Nathan/ VUEF, Paris, 2002

4.1. 2 باسل المسالمة: مترجم وناقد سوري من مواليد درعا، حاصل على دكتوراه في الشعر الانجليزي من جامعة ليستر، بريطانيا، يدرس الأدب الإنجليزي بكلية الآداب بجامعة دمشق، من أعماله المترجمة:[7]

- فن قراءة الشعر ، هارولد بلوم، 2009.
- النظرية الأدبية، ديفيد كارتر، 2010.
- الحداثة، بيتر تشايلدز، 2010.
- نظرية التناص، جراهام ألان، 2011، وهذا الكتاب الأخير هو الذي اعتمدنا عليه كمدونة للمقارنة، وفيما يلي المعلومات الكاملة المتعلقة به:

جراهام ألان: نظرية التّناص، ترجمة: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2011.

أما المعلومات الأصلية المتعلقة بهذا الكتاب فهي كالآتي:

Graham Allen, Intertextuality,London, Routledge, 2000.

4. 2 المقارنة بين الترجمتين:

نلاحظ من خلال العنوان أنّ "باسل المسالمة" لم يترجم عنوان الكتاب ترجمة دقيقة، وإنّما حوّر فيه إذ يفترض أن يُترجم كلمة "Intertextuality" إلى "التّناص"، وليس "نظرية التّناص"، فقد أضاف لفظ "نظرية Theory"؛ وهو لفظ غير موجود في العنوان الأصلي، ولا ندري سبب هذا التحوير أو هذا الاجتهاد، خاصة إذا علمنا أن "المسالمة" نفسه يترجم مصطلح "Intertextuality" الوارد في متن الكتاب إلى "التّناص". أما "عبد الحميد بورايو" فقد ترجم عنوان الكتاب ترجمة دقيقة وفق ما يلي:

مدخل إلى التّناص=Introduction a l'intertextualité

وبالرغم من اختلاف اللغة الأصلية المترجم عنها (الفرنسية والانجليزية)؛ إلا أنّ هذا الاختلاف لا يشكّل عائقا موضوعيا في المقارنة التي سنعقدها بين الترجمتين، ذلك أنّنا اخترنا المصطلحات التي وضعها الباحث الفرنسي "جيرار جنيت" والتي لها مفهوم محدّد في كتاباته، وفيما يلي جدول يوضّح أوجه التطابق والاختلاف بين الترجمتين:

– جدول للمقارنة بين ترجمة كلّ من "عبد الحميد بورايو" و"باسل المسالمة" لأهم مصطلحات التّناص:

المصطلح الأجنبي	ترجمته		مفهومه
	عند عبد الحميد	عند باسل المسالمة	

	بورايو		
Poétique	الشعرية	الشعرية	نظرية عامة ومجرّدة، تعنى باستنباط القوانين التي يتوجه بموجبها الخطاب اللغوي وجهة أدبية.
Structuralisme	البنويّة	البنيوية	النظرية المعروفة؛ والتي ترى أن النص الأدبي بنية لغوية مغلقة.
Transtextualité	التعاليات النصيّة	تجاوز النص	هو موضوع الشعرية حسب جنيت، وهو كلّ ما يربط بين نص وفئات عامة (أنواع، أصناف من الخطابات، صيغ تلفظ) أو نصوص أخرى.
Palimpsestes	طروس	طروس	طرس ج طروس وأطراس، وهو الصحيفة التي محيت ثم كتبت من جديد.
Intertextualité	التّناص	التّناص	الحضور الفعلي لنص في آخر، حضور جلي أو بشكل أقل وضوحا وفق آليات: الاستشهاد، السرقة، التلميح، الإيحاء.
Paratextualité	الموازيات النّصية	ملازمة النص	وهي العلاقات التي يقيمها النص مع محيطه النصي المباشر، وتعنى بالعنوان، المدخل، التصدير، العنوان الفرعي، المقدمة والملحق والغلاف والتنبيه والحواشي والهوامش...
Metatextualité	الوصفية النّصية	شرح النص	علاقة نقدية متقنة، ما يسمى عادة بالتعليق والتفسير، وعلاقة تربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يستشهد به، وربما دون أن يسميه.
Hypertextualité	تعالق نصي/ تعلّق نصي	محاكاة النص	هي علاقة تربط نصا لاحقا أو متفرعا (Hypertexte) بنص سابق أو أصل (Hypotexte)، دون أن يكون شرحا له.
L'architextualité	الجامعيّة النصية	انتماء النص	علاقة أكثر غموضا وتجريدا، لأنها تتّصل بمجموع الخصائص العامة من أنماط خطاب، وصيغ التلفظ، وأجناس أدبية.
Hypotexte	النص السابق	النص السابق	هو النص / النصوص التي يستحضرها نص ما، تتكفّل القراءة بالكشف عنها.
Hypertexte	النص اللاحق	النص اللاحق	هو النص الحاضر موضع القراءة والذي يتضمن حتما نصوصا سابقة.
Intertexte	المناصّ	المتناص	مجموعة النصوص المندسة في نص ما.

نلاحظ من خلال المقارنة التي عقدناها بين ترجمتي الباحثين (عبد الحميد بورايو، وباسل المسالمة) لنفس المصطلحات؛ والتي شملت اثني عشر (12) مصطلحا، أنّ المترجمَين يتّفقان في ترجمة بعض المصطلحات، ويختلفان في ترجمة أخرى. حيث وجدنا تطابقا في ترجمة خمسة (5) مصطلحات، بينما ألفينا اختلافا في ترجمة سبعة (7) مصطلحات، وهي مصطلحات مهمّة وفاعلة في التّصور الذي وضعه جنيت لمفهوم الممارسة التّناصية، لأنّ هذا الاختلاف قد شمل المصطلحات التي تدلّ على أنواع

المتعاليات النصية التي حدّدها جنيت، وهو ما سيعمّق المشكلة لدى القراء والباحثين ومحللي النصوص في هذا المجال، ومن ثمّ فالاختلاف في الترجمة هو الغالب على العيّنة المدروسة.

هذه النتيجة ليست بمفاجأة، لأنّ ما خفي أعظم! فلو وسّعنا مجال الدّراسة لوجدنا اختلافا كثيرا. وهو اختلاف يدلّ على الأزمة التي تشهدها ترجمة المصطلح النقدي، وهو كفيل بتعميق المشكلة وتوسيع الهوة الحاصلة بين المشارقة والمغاربة في ترجمة المصطلحات النقدية. ونشير هنا إلى أنّنا قد اقتصرنا فقط على المصطلحات الأساسية التي جاء بها جيرار جنيت والتي تحدّد الإطار النظري الذي يحدّد مختلف العلاقات التناصية التي تحكم النصوص الأدبية،[8] فما هو حجم الاختلاف الذي سنرصده لو وسعنا دائرة البحث؟ الإجابة واضحة؛ حتما سنقف على فوضى ترجمية بكلّ المقاييس.

نلاحظ من خلال الجدول أن "بورايو" في ترجمته لمصطلح Structuralisme بـ "البنويّة" يبدو مخالفا لأغلب النقاد الذين يستعملون مصطلح البنيوية، كما هو الحال مع المسالمة، وهو الشائع، ولكنّ ذلك لا يُحدث إشكالا لأن المصطلحين قريبين في الصياغة ويؤديان الدلالة نفسها، وكذلك ترجم كلّ منهما المصطلح الأجنبي Poétique إلى "الشعرية"، وهو ما شاع عند أغلب المترجمين والنقاد العرب، وكذلك نجد التطابق واضحا بين المترجمين، إذ يتفقان في ترجمة أربعة مصطلحات هي: طروس، التّناص، النص السابق، النص اللاحق، وهي المصطلحات التي شاع استعمالها في الدراسات النقدية والبحوث الأكاديمية في الوطن العربي، وهذا التوافق من شأنه أن يحدّ من مشكلة التعدّد المصطلحي.

إنّ وضع بورايو لمصطلح "التعالي النصي" كمقابل لـ Hypertextualité تدلّ على محاولته الحدّ من مشكلة التعدّد، لأن هذا المصطلح الذي اختاره مستعمل على نطاق واسع لدى الباحثين العرب مغربا ومشرقا، ولا يجد أغلب القراء - في اعتقادنا صعوبة - في إدراك دلالته. أما مصطلح "تجاوز النص" الذي اختاره المسالمة؛ فهو أقلّ استعمالا من سابقه، وقد لاحظنا استعماله من قبل بعض النقاد التونسيين أمثال: أحمد السماوي في كتابه "التطريس في القصص، إبراهيم درغوثي أنموذجا"، وفوزي الزّمرلي في كتابته "شعرية الرواية العربية".

يستعمل باسل المسالمة مصطلح "محاكاة النص" للدّلالة على المصطلح الأجنبي Hypertextualité ولكنّنا نعتقد أنّ هذه الترجمة لا تفي بالغرض المقصود، ذلك أن المحاكاة النصية imitation هي نوع من الأنواع المنضوية تحت النمط الرابع والمسمى التعالق النصي= Hypertextualité/ Hypertextualityحيث تتم عملية التعالق النصي بطريقتين: المحاكاة imitation أو التحويلtransformation، وهما نوعان أساسيان يحويان كلّ عمليات التعالق النصي، ويقدّم جنيت تعريفا بسيطا لكل منهما، فالتحويل هو قول نفس الشيء بطريقة أخرى، أمّا المحاكاة فهي قول شيء آخر بطريقة مشابهة.[9] ويلتقي عبد الحميد بورايو في استعماله لمصطلح "التّعلق النصي" مع الباحث المغربي سعيد يقطين الذي استعمل هذا المصطلح في كتابه "الرواية والتراث السردي"[10] وهو المصطلح الذي شاع استعماله لدى كثير من الباحثين الأكاديميين في الوطن العربي.

وكذلك لا يؤدي مصطلح "ملازمة النص" (الذي ارتضاه المسالمة) الدلالة الدّقيقة التي أرادها جنيت من وراء إطلاقه لمصطلح paratextualité، إذ إنّ السابقة "para" تدل على التوازي، ويقصد بها جنيت تلك النصوص الموازية التي توجد على عتبة كل نص. وهو المصطلح الذي استعمله عبد الحميد بورايو، وشاع استعماله في كثير من الدراسات النقدية العربية. ولم نجد -في حدّ علمنا- من استخدم مصطلح لوازم النص، وإن كنّا نجد بعض الباحثين يستخدم مصطلح "المصاحبات النصية"[11] للدلالة على هذه العلاقة، والمصاحب للشيء ملازم له، وهنا تبدو الترجمة مقبولة، إلا أنّها ستعمّق من إشكالية تعدد المصطلح، إذ تتشكل لدينا هنا فقط؛ ثلاث ترجمات لمصطلح أجنبي واحد.

نلاحظ أيضا - من خلال الجدول أعلاه - أنّ عبد الحميد بورايو يُحدثُ إشكالا عند ترجمته لمصطلح Intertexte بالمناص،[12] إذ يختلط الأمر هنا على القارئ أو الباحث المهتم بحقل التّناص، ذلك أن سعيد يقطين يقصد بالمناص =

paratexte(أي النّص الموازي حسب ترجمة بورايو)، وهو المصطلح الذي استعمله عدد من الباحثين الأكاديميين؛ لعل أبرزهم الباحث الجزائري "عبد الحق بلعابد" في كتابه عتبات (جيرار جنيت من النّص إلى المناص). ولو ترجمه بالمتناص لربما كان أنسب ليجنّبنا مزيدا من الخلط الاصطلاحي. ولكن بالنسبة لـ "بورايو" لا يوجد إشكال لأنّه يترجم مصطلح Intertexté بـ "المتناص"[13] أما المناص فهو = Intertexte.

يبدو مصطلح "شرح النص" الذي اقترحه المسالمة كمقابل للمصطلح métatextualité غير دقيق، ذلك أنّ جنيت كان يقصد العلاقة النقدية التي تربط نصا بآخر عن طريق التعليق أو التفسير، فالشرح هو آلية من آليات أخرى تحقّق هذه العلاقة، فهي جزء من كلّ. لذلك يبدو مصطلح النصية الواصفة الذي اختاره بورايو أقرب للإحاطة بالدلالة الأصلية التي يشير إليها المصطلح الأجنبي. وهناك من النقاد من ارتضى استعمال هذا المصطلح أو ما هو قريب منه، حيث استعمل الباحث التونسي أحمد السماوي "الوصف النصي"، أما سعيد يقطين فقد ترجم السابقة المرتبطة بالمصطلح حرفيا أي: الميتانصية. وقد سار في ذلك على خطى الذين ترجموا مصطلحات تتضمن السابقة "méta " مثل: الميتالسانية والميتاقص وغيرها.

تبدو ترجمة "المسالمة" مصطلح "L'architextualité" إلى "انتماء النص" قاصرة عن أداء مفهوم العلاقة النّصية الذي قصده جنيت، ذلك أنّ الانتماء ربما يعبّر عن علاقة واحدة من العلاقات الممكنة التي يقترحها جنيت، أي الانتماء إلى الجنس الأدبي. أما مصطلح "الجامعية النصية" الذي اقترحه بورايو كمقابل عربي للمصطلح الفرنسي؛ فهو يتّفق فيه مع مترجمين آخرين، وهو مصطلح شائع الاستعمال في الدراسات النقدية والبحوث الأكاديمية، مع بعض التحوير أحيانا؛ إذ نجد: النصية الجامعة، جامع النص، وهو ما يسميه سعيد يقطين "معمارية النص"، وهناك مصطلح شاع عند بعض النقاد التونسيين للدلالة على نفس المفهوم هو: النصية الناسخة.

يتجلى لنا من خلال المقارنة السابقة أنّ ترجمة "عبد الحميد بورايو" للمصطلحات النقدية كانت أكثر دقة ومنطقية مقارنة بترجمة "باسل المسالمة" الذي تبدو ترجمته غير دقيقة، مضطربة، ومرتبكة أحيانا. تزيد مشكلة التعدد المصطلحي تعقيدا وتعمّقها، خاصة وأنه انفرد ببعض المصطلحات التي لم يستعملها غيره من النقاد والمترجمين، وهو ما يشكّل عقبة في طريق الباحثين خاصة المبتدئين منهم. في حين تبدو الترجمة التي اختارها "عبد الحميد بورايو" للمصطلحات التي قدّمها "جيرار جينت" أكثر منطقية، لأنها حاولت التعبير عن المفاهيم التي ارتبطت بها في لغتها الأصلية، وهي ترجمة يلتقي فيها مع مترجمين ونقاد آخرين مغاربة ومشارقة، إذ حرص على استعمال ما شاع منها تجنّبا لتفاقم إشكالية التعدّد المصطلحي، فمصطلحات التّعالي النصي، التعلق/ التعالق النصيّ، النص الموازي، النص الجامع؛ شاع استعمالها في الخطاب النقدي العربي وفي البحوث الأكاديمية على نطاق واسع.

تحتاج ترجمة المصطلحات النقدية إلى التواصل مع بقية المترجمين المشتغلين على نفس الحقل العلمي في الوطن العربي، وعدم الاعتماد على التجربة الذاتية وحدها، وذلك بهدف توحيد المصطلحات أو الحدّ من مشكلة التعدّد المصطلحي على الأقل. وهذا التواصل هو ما حرص عليه – إلى حدّ ما – المترجم عبد الحميد بورايو في مسيرته الترجمية؛ حيث عُرف بمحاولاته التقارب قدر الإمكان في اختيار المصطلحات مع زملائه المنشغلين بترجمة البحوث المتخصصة في السّرديات (خصوصا ما تعلّق منها بالسيميائيات)، والاستفادة من جهودهم بالإضافة إلى استعانته بالقواميس المتخصصة.[14]

5. خاتمة:

نستنتج ممّا سبق أن الخطاب النقدي العربي المعاصر يشهد أزمة خاصة بترجمة المصطلح النقدي المتعلّق بحقل التّناص، إن لم نقل فوضى مصطلحية. حيث تعدّدت المصطلحات للمفهوم الواحد، إذ يسود الاختلاف في الترجمة بدلا من الاتفاق والتطابق. وهذا الاختلاف ليس محصورا بين المغاربة والمشارقة فحسب، بل نجده بين المغاربة أنفسهم، وكذا المشارقة على حدّ سواء. والغريب أن الاختلاف في ترجمة المصطلح أو تعريبه نراه حتى بين النقاد والمترجمين المنتسبين إلى البلد الواحد،

بل إن الاختلاف والتعدد المصطلحي موجود حتى عند الناقد نفسه، والذي يستعمل عدّة مصطلحات لمفهوم واحد في كتبه المختلفة، ممّا ينتج عنه فوضى في الاستعمال، تقابلها فوضى في التلقي من قبل القراء والباحثين الجامعيين. هذا؛ وقد لاحظنا بعض الجهود التي تهدف إلى الحدّ من التعدد المصطلحي لدى كثير من النقاد في تونس، وسعي بعض النقاد الجزائريين إلى توحيد استعمال المصطلحات السيميائية أمثال: عبد الحميد بورايوورشيد بن مالك وسعيد بوطاجين.

يتّضح لنا من خلال ملاحظة ما تيسر من المنجز النقدي المغاربي أنّ الاختلاف والتعدّد في ترجمة المصطلح بين المغاربة أقل منه عند المشارقة، ويبدو أن المغاربة أقلّ اختلافا في استعمال مصطلحات التّناص على عكس المشارقة الذين تتعدد لديهم المصطلحات بصورة واضحة. ولعلّ الأسباب التي أدّت إلى التقارب بين المغاربة هو اعتمادهم على اللغة الفرنسية وتمكّنهم منها، وهي اللغة التي أنتجت بها أغلب النظريات والمناهج النقدية المعاصرة، كما أن اللغة حاملة للفكر والثقافة. وقد كان أساتذتنا في الدراسات العليا ينصحوننا بالأخذ عن المغاربة في تلقينا للمناهج النقدية المعاصرة. أمّا أغلب المشارقة فيترجمون عن اللغة الانجليزية، وهنا نلاحظ اختلاف المنظومة الثقافية، وبذلك يبتعدون عن الأصل خصوصا وأن الجهود النقدية التي شكلت أسس "نظرية التناص" هي جهود فرنسية، أي أنّها نظرية أنتجتها الثقافة الفرنسية.

وإذا أردنا القضاء على الفوضى المصطلحية الحاصلة في الخطاب النقدي العربي، أو الحدّ منها قدر الإمكان، وجب توحيد الجهود ضمن مشروع جادّ واضح المعالم، تحت مظلة مؤسسات رسمية على غرار المجامع اللغوية أو الاتفاق بين وزارات الثقافة في الوطن العربي والتنسيق فيما بينها؛ عن طريق عقد لقاءات وحوارات لضمان التواصل بين المترجمين والنقاد، ممّا يسمح لهم بتبادل الآراء وتقريب وجهات النظر، الأمر الذي من شأنه أن يساعد على توحيد المصطلحات. وضرورة التخلي عن الروح القطرية والانفتاح على باقي التجارب الترجمية المنجزة في باقي الأقطار العربية، والابتعاد عن النزعة الذاتية والاجتهادات الفردية التي ستزيد المشكلة تعقيدا.

6. الهوامش:

[1]- الجرجاني ,الشريف .(1998) .*التعريفات*.بيروت :دار الكتاب العربي، ص44.

[2]- وغليسي يوسف، .(2008)*إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد*.الجزائر :منشورات الاختلاف، ص24.

[3]-Kristeva, Julia. (1969). *Recherches pour une sémanalyse*. paris: coll" points" éd seui,p52.

[4]- السماوي ,أحمد .(2002) .*التطريس في القصص، إبراهيم درغوثي أنموذجا*.صفاقص :دار التسفير الفني، ص19.

[5]– المسدي ,عبد السلام.(1994) .*المصطلح النقدي*.تونس :مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، 119.

[6]- يقطين ,سعيد .(1992) .*الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث*.بيروت:المركز الثقافي العربي، ص9- 32.

[7]- ألان ,جراهام .(2011) .*نظرية التناص*، تر: باسلالمسالمة،دمشق :دار التكوين، ص4.

[8] -Genette, Genette. (1982). *Palimpsestes, la littérature au second degré*. paris: Editions du seuil. P7- 13.

[9]-Ibid. p15.

[10]- يقطين، سعيد: الرواية والتراث السردي، ص28.

[11]- الزمرلي ,فوزي .(2007) .*شعرية الرواية العربية، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها*.دمشق :مؤسسة القدموس الثقافية، ص19.

[12]- غروس ,نتالي .بييقي .(2012) .*مدخل إلى التناص* , تر: عبد الحميدبورايو ,دمشق :دار نينوى، ص21.

[13]- المصدر نفسه، ص275.

[14]– غريماص، أ، ج وآخرون(2013) . *النظرية السيميائية، مسار التوليد الدلالي*،تر: عبد الحميد بورايو ,الجزائر :دار التنوير، ص4.

7. قائمة المصادروالمراجع:

1.7. المراجع باللغة العربية:

1- ألان ,جراهام .(2011) .*نظرية التناص*، تر: باسلالمسالمة،دمشق :دار التكوين.
2- الجرجاني ,الشريف .(1998) .*التعريفات*.بيروت :دار الكتاب العربي.
3- الزمرلي ,فوزي .(2007) .*شعرية الرواية العربية ، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها*.دمشق :مؤسسة القدموس الثقافية.
4- السماوي ,أحمد .(2002) .*التطريس في القصص، إبراهيم درغوثي أنموذجا*.صفاقص :دار التسفير الفني.
5- المسدي ,عبد السلام.(1994) .*المصطلح النقدي*.تونس :مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع.
6- غروس ,نتالي .بييقي .(2012) .*مدخل إلى التناص* , تر: عبد الحميدبورايو ,دمشق :دار نينوى.
7- غريماص، أ، ج وآخرون(2013) . *النظرية السيميائية ، مسار التوليد الدلالي*،تر: عبد الحميد بورايو ,الجزائر :دار التنوير.
8- وغليسي ,يوسف .(2008) .*إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد*.الجزائر :منشورات الاختلاف.
9- يقطين ,سعيد .(1992) .*الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث*.بيروت:المركز الثقافي العربي.

7. 2. المراجع باللغة الأجنبية:

1- Genette, Genette. (1982). *Palimpsestes, la littérature au second degré.* paris: Editions du seuil.

2- Kristeva, Julia. (1969). *Recherches pour une sémanalyse.* paris: coll" points" éd seui.